

صاحب الجلالة الملك يخاطب الأمة في شأن اجتماعه بالوزير الأول الإسرائيلي

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

كما هو في علمك، اجتمعنا أخيراً مدة يومين بالوزير الأول للحكومة الإسرائيلية في يفرن، وبمجرد ما عرف هذا الخبر حملت إلينا وكالات الأنباء من العالم بأسره الأصداء وردود الفعل، تلك الأصداء وردود الفعل التي منها ما يحبذ ويبارك، ومنها ما يندد وينتقد.

وقبل أن نشرع في أي حديث لابد شعبي العزيز أن تعلم أنني لا أهتم بمن أنتقد وندد ولا بمن بارك واستحسن، إنما اهتم قبل كل شيء برضاك أنت وبانتقادك وبراحة ضميري، فإذا كنت مرتاح الضمير وكنت أحس من حولي كما أحسست به دائماً أن شعبي فهمني ويسايرني في خطتي ويبارك تحركي، فآنذاك أتمكن من أن أقوم التقويم الصحيح ردود الفعل العالمية، لأنه كما تعلم ضميري هو ضميرك، وراحتي هي راحتك.

إذن لتتمكن من أن تقول هذا شيء حسن أو هذا شيء غير مستحسن، لنبدأ على بركة الله هذه القصة التاريخية التي لها ما لها من الأهمية حالا واستقبالا.

لا أريد شعبي العزيز أن أرجع بك إلى الماضي البعيد، سأترك هذا لآخر خطابي، أما خطابي هذا فسينقسم إلى قسمين : القسم الأول لماذا وقع اللقاء ؟ والقسم الثاني لماذا وقع الآن ؟ وأخيراً بعض النظريات والأفكار التي خالجتني منذ أسابيع وشهور والتي ما زالت تخالجني اليوم.

هناك حدثان هامان في تاريخ العرب منذ النكسة الكبرى التي ألمت بنا سنة 1967، تلك المأساة التي ذهب من أجلها سيناء والجولان وغزة والضفة الغربية والقدس الشريف ويا لها من فاجعة، ومنذ ذلك الحين والعرب يئنون ويبكون وينتحبون إلى أن أراد الله سبحانه وتعالى لهم في شهر رمضان وفي سنة ألف وتسعمئة وثلاث وسبعين أن يظهروا للعالم بأسره ولعدوهم في الميدان أنهم قادرون على الضرب والرد بالمثل والكفاح والإستبسال والشهادة.

ولا أريد أن أذكر هنا من جرح أو من مات، فمن استشهد ومات فعليه رحمة الله تعالى، وعليه كذلك بركات خلقه وسلام ملائكته.

المهم أنه بعد هذا الحدث المهم، وقع في حياة العرب حادثان : الأول في الرباط، والثاني في فاس، الأول في الرباط سنة 1974 عندما اجتمع مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية وأجمعوا أمرهم على أن الممثل الوحيد والشرعي للفلسطينيين هو منظمة التحرير الفلسطينية، وهذا القرار، كيفما كانت عواقبه، منا نحن العرب من رآه ذا عواقب وخيمة، ومنا من رآه ذا عواقب طيبة. المهم هو أنه منذ ذلك الحين لم تبق القضية الفلسطينية تائهة بين الأخذ والرد، والخوف والرجاء، ولم يعد الشعب الفلسطيني يبحث عمن يمثله أو يتحدث باسمه أو من يعبر عن آماله وأمانيه ومطالبه، بل أصبح الشعب الفلسطيني منذ ذلك اليوم يتمتع بقيادة محترمة معترف بها في أكثر دول العالم، أصبحت عضواً ملاحظاً في هيأة الأمم المتحدة، وعضوا كامل العضوية في الجامعة العربية، وعضوا كامل العضوية في منظمة المؤتمر الإسلامي وعضوا كامل العضوية في مؤتمر دول عدم الإنحياز.

ولي الشرف ــ وبكل تواضع ــ أن أقول لك شعبي العزيز وهذا ما زال موجوداً في محاضر الجلسات مسجلا صوتيا وكتابياً ــ انه كان لخادمك وملكك الدور الأول في إيجاد منظمة التحرير الفلسطينية كمحاور ومسؤول وحيد وشرعي يمكنه أن يتكلم باسم الفلسطينيين.

الحدث الثاني وقع في فاس على شطرين، ولا أريد أن أضيع وقتك شعبي العزيز، فمؤتمر قمة فاس ينقسم إلى شطرين : سنة 81 ــ نظراً لانعدام وجود المسؤولين المعنيين بالأمر في أعلى مستوى بفاس ــ أقنعنا إخواننا وأشقاءنا رؤساء الدول العربية بأن يؤخروا ذلك المؤتمر إلى السنة الموالية حتى يكون النصاب تاما من حيث العدد ومن حيث التمثيل.

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يجتمع العرب كل العرب على أعلى مستوى أو على الأقل على المستوى الذي يلزم دستورياً كل دولة التزمت أو ستلتزم بمقررات فاس.

ومقررات قمة فاس نتج عنها ولأول مرة مخطط عربي محبوك ومسبوك ومضبوط وقابل للتنفيذ، ليس فيه ديماغوجية وليس فيه شعر وليس فيه حماسة، وليس فيه إطناب سياسي، ولأول مرة أجمع جميع العرب على خطة تمكننا من الشروع في تطبيقها في الشهور التي تلت ذلك المؤتمر.

ومن جملة القرارات التي أسفر عنها هذا المؤتمر : القرار الأخير الذي يقول : ان مؤتمر الدول العربية يوكل إلى كل من المغرب والجزائر وتونس وسوريا والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية والمملكة العربية السعودية ــ وسميناها اللجنة السبعية ــ التحرك لإقناع الدول العظمى بصلاحية مخطط فاس وبالإمكانيات التي يفتحها أمام التحليلات السياسية التي ترمي إلى إيجاد نهاية للمأساة العربية ــ الإسرائيلية.

وكان آنذاك لخديمك هذا فضل رئاسة هذه اللجنة.

وفعلا سافرت اللجنة إلى واشنطن برئاستي، وبعد ذلك تحركت برئاسة شقيقي الملك حسين إلى لندن وباريس وموسكو وبكين.

هذه الفقرة من مقررات فاس تقول لنا ما هي الدول التي تطلب منا أو تقريباً تأمرنا أن نزورها أو نتصل بها للإيضاح والإستيضاح.

ولكن كما تعلم شعبي العزيز من الناحية القانونية كل شيء حلال إلا ما حرم صراحة، فلم يذكر في مقررات فاس أن الإتصال بإسرائيل في إطار مقررات فاس لا خارجها حرام.

فالمؤتمر أوصانا بالإتصال كلجنة، ولكن لم يمنعنا بأي حال من الأحوال بأن نتصل في إطار مقترحات فاس بأي دولة أردنا أن نتصل بها.

ولا أخفي عليك شعبي العزيز أن تلك اللجنة قامت بأعمال مهمة وإيجابية، إلا أن بعض العراقيل، ولست هنا لأقول ممن جاءت تلك العراقيل، منعتنا لا من الإستمرار في أعمالنا فحسب، بل أيضا حتى من وضع تقرير مكتوب نعرضه على ملوك ورؤساء الدول العربية، بحيث — وهذا ما يبعث على الأسى والأسف — لحد الآن وأقول لكم هذا وأنا رئيس اللجنة فإن ظروفاً ومناورات جعلت تلك اللجنة لم تكتب ولم تضع تقريراً لتعرضه على مؤتمر القمة العربي ليعرف ما هو البلد الذي كان متجاوباً والبلد الذي لم يكن متجاوباً معنا، ومنذ ذلك اليوم شعبي العزيز وأنا غير مرتاح الضمير، لأن المغرب وإن كان على بعد آلاف الكيلومترات من دول المواجهة ومن ميدان الحرب هو قبل كل شيء جزء لا يتجزأ من وطنه العربي ومن أسرته العربية، فكلما كان مخيم من المخيمات في لبنان يئن كنا نبكي في المغرب، وكلما زاد الهجوم على سيادة لبنان شبراً كنا نثور هنا في المغرب.

وكنت أقول هل سنبقى مكتوفي الأيدي ؟ أليست لنا مهمة ومسؤولية في إطار مقررات فاس للخروج من هذه الدوامة، وإذا كنت تعرفني، وأظن أنك تعرفني شعبي العزيز مثلما أعرفك، فستكون قد شعرت أني منذ أربع سنوات أو ثلاث سنوات وأنا ألح، فقد قلت أول مرة أنه إذا أراد أحد المسؤولين الإسرائيليين أن يأتي للقائي فإن السياحة والسفر للنزهة ممنوعان عليه في المغرب، كما أن السفر للنزهة ممنوع علي في إسرائيل.

وفي المرة الثانية سألني بعض الصحفيين فأجبتهم بأنني مستعد لإستقبال الوزير الأول الإسرائيلي إذا كان حاملا لحقيبة فيها برنامج مطول ومطابق لمقررات قمة فاس.

وكانت المرة الثالثة قبل المؤتمر الطارىء للدول العربية في الدار البيضاء عندما طُرح علي سؤال عما إذا كنت مستعداً للقاء الوزير الأول الإسرائيلي، وكان جوابي : قبل اللقاء أفضل أن يرسل لي رسالة بواسطة الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة، وآخر رمز وإشارة مني إليك كانا خلال الندوة الصحفية التي عقدتها في مراكش، وفي الإستجواب الذي أجراه معي من بعد السيد جان دانييل Jean DANIEL عن مجلة «نوفيل أوبسرفاتور» الفرنسية إذ قلت أنني أستغرب أنه لحد الآن لم يلتق قائد عربي مع مسؤول إسرائيلي، لأننا نحن لا نحارب شبحا ولا نحارب عدوا وهميا، بل نحارب عدواً موجوداً على أرضنا، ونحارب عدواً يزيد دائماً في غطرسته، كأنه نسي أنه يعيش على أرض محتلة وأنه يبني ويشيد على أرض كما لو كان ورثها عن آبائه وأجداده.

فقلت : ألم يأن لقائد عربي أن يلتقي بقائد إسرائيلي حتى يعرف موقفه مباشرة لا بواسطة الوسطاء، كيفما كان احترامي وتقديري للوسطاء، سواء أكانوا رؤساء دول أمريكية أو أوربية أو أمريكية لاتينية أو من الإتحاد السوفياتي، فليس هناك أحسن من الحوار المباشر.

كنت أظن أنه بعد هذا التصريح سيكون هناك بعض ردود الفعل من بعض الدول العربية على الأقل، فما سمعت وما قرأت منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا أي انتقاد أو أي رد فعل، واعتبرت منذ أربع سنوات وأنا أقول لك هذا الشيء وأبين لك هذه الإرهاصات وهذه العلامات، إنك فهمت وعرفت وإنك قد فهمت، لأنك شعب حاذق، لقد كنت أظن أن عدداً من الناس من بعد المرات الأولى والثانية والثالثة سيفهمون على الأقل في المرة الرابعة، فهم إما لم يفهموا وإما فهموا وقالوا : فلنتربص به.

المهم هو أن السيد شيمون بيريز طلب مني أن نلتقي، فكان جوابي أنه لا يمكننا أن نلتقي إلا على قاعدة

المشروعية، وهذه المشروعية لها شطران، شطر عام وشطر خاص، الشطر العام هو أنه لا يمكن أن أتذاكر معك إلا في إطار مخطط فاس، والشطر الخاص هو أنني أعتقد أن لي الصلاحية دون أن أكون مفوضاً من لدن أي أحد، أن أتناقش معك في هذا الموضوع، لأنني ما زلت رئيس دورة مؤتمر القمة العربي.

فكان جوابه سأتذاكر معك في إطار مخطط فاس، ولكن هذا لا يمنعني من أن آتي باقتراحات، قلت : طيب، ما يهمني سأخاطبه في إطار مقررات فاس، وما دمت أعتقد أن لي الصلاحية، ولا سيما أنني بعيد، وسنتذاكر في هذه النقطة من بعد، فآنذاك قال لي : أحبذ أن نتقابل في أمريكا عند زيارتك لها، فكان جوابي هو أن المقابلة يجب أن تكون مقابلة مغربية ولا أريد أن تكون من وحي فلان أو فلان، ولا أريد أن تكون تحت مظلة قارة دون قارة، ولا قوة عظمى دون قوة عظمى، بل يجب أن يكون هذا اللقاء، لقاء حراً، يتميز بممارسة السيادة كاملة حرة في تصرفها.

ونظراً لأهمية هذا وذاك فضلت العدول عن السفر لأمريكا، علماً مني بأن محادثات مثل هذه، وإن كانت استطلاعية فقط، هي أهم بكثير بالنسبة لمصير الأمة العربية من سفري لأمريكا، وإن كان للمغرب مصالح خاصة، إذ أنه على ملك المغرب أن يدافع عن مصالح بلاده، حتى أن ضميري كان يشير عليَّ بالذهاب للدفاع أولا عن مصالح بلادي.

ولكنني كنت أقول لنفسي إذا ذهبت وبعدها التقيت به سيقولون انني ذهبت لأتلقى الأوامر قبل التقائي به في المغرب، هذا أحسن، فأنا متعب ومرهق، ويلزمني أن آخذ بضعة أيام من الراحة وحتى أكون وأبقى مستقلا في رأيي متحملا لمسؤوليتي مئة في المئة أمام التاريخ اليوم وأمام التاريخ القريب والتاريخ البعيد، متحملا لمسؤولية ما وقع شخصيا؛ لم أبلغ أي رئيس دولة عربية بهذا الخبر، وتعلم شعبي العزيز أنني قلت لك أن والدي رحمه الله كان يقول لي إن النقطة الأساسية في تربيتك السياسية هي ألا تكذب أبدا على شعبك، لأن شعبك شعب ذكي، يفطن لكذبتك، ولن يستمر في تقديره لك إذا كذبت عليه.

أقول لك شعبي العزيز انني لم أطلع على نيتي وإرادتي أية دولة عربية، بل لم أطلع أية دولة أوربية أو أفريقية أو أسيوية أو أمريكية، أو أمريكية لاتينية.

بل الأكثر من هذا لدي برقية من الرئيس ريكن يقول فيها : لقد بلغني — وهنا علمت أن الخبر قد تسرب من الجانب الآخر — أنك ستلتقي بالوزير الأول فلان الفلاني، وإنني أرجوك أن يكون هذا اللقاء عندي حتى يمكنني أن أدعم هذا اللقاء بكل الدعم الأمريكي، فجوابي هو ما علمتم، وهو أنني لم أذهب إلى أمريكا، لماذا ؟ لأني إذا ربحت فالربح سيعود على الجميع، وإذا أخطأت فأريد أن أخطأ وحدي وأتحمل عبىء وثقل مسؤولية خطئي إذن شعبي العزيز التقيت بشيمون بريز وتذاكرنا في إطار مخططات فاس، التقيت به لأنه ليس هناك ما يمنعني من لقائه، ولأنه ليس هناك قرار من قرارات الجامعة العربية من يوم تأسيسها إلى يومنا هذا يمنع مسؤولا عربيا من الإلتقاء بمسؤول إسرائيلي، إني لم ألتق به في الخفاء كما فعل البعض، لأن الناس على صنفين، فهناك من التقى به سرا، واسمح لي أن أقول لك ان هناك من يسيل لعابه لإستقبال شيمون بريز، ولم يرد بيريز أن يذهب عنده ويخاف هو أن يأتي عنده علانية، إن شيمون بريز قضى يومين يتجول في المغرب، لا شرطي يحرسه، لأن عنده من يحرسه، ألا وهو العقل المغربي ورزانة المغاربة ومسؤولياتهم على مدى أربعة عشر قرنا.

وأن ما أعتز به، هو أنك كنت تعرف على مدى يومين أن شيمون بيريز موجود هنا وما تحرك متحرك

علماً منك بأن الأمور بخواتمها، وأنك تنتظر ماذا سيخرج به هذا الإجتماع، أنا أقول لك ماذا خرج به هذا الإجتماع، أقول لك ومن خلالك لجميع الذين أرادوا أن يسطوا علينا بغطرستهم، ستقولون لماذا لم تتلق به منذ ثلاثة أشهر أو أربعة ؟ ولماذا لم تؤخر ذلك لخمسة أشهر أو ستة ؟ السبب واضح، لأن هناك ظروفا عربية وإسرائيلية، وستقول ما دخل الظروف الإسرائيلية في هذا ؟

شعبي العزيز، لنعد قليلا إلى الوراء عندما كنا في المنفى وكان الشهداء يسقطون والوطنيون يسجنون، ألم نكن مشغولي البال صباح مساء بالحكومة التي ستتولى زمام الأمور في فرنسا ؟ ألم نكن نحسب حتى الأصوات التي ستجعل إدغارفور ينتصر أو لانييل يبقى في الحكم أو غي مولي أو غيره ينتصر ؟ كنا نحسب ذلك بالنقير والقطمير، بل ربما كنا نحن أعرف من الفرنسيين بأسماء نوابهم.

شعبي العزيز، هذه هي دروس المحنة، والإستعمار ليس مثل البعض الذين جاء بهم القضاء وليس القدر ولا دراية لهم بمجريات الأمور، بحيث كان علي أن أدخل في الإعتبار المناخ الإسرائيلي، ففي اعتقادي أن هذا المناخ سيتغير رأسا على عقب بعد أربعة أشهر، شيمون بيريز كما تعلم سيسلم الحكم لحزب الليكود، وهو حزب يميني متطرف، قلت : إن على المرء أن يرى وضعية خصمه، هذا من الناحية الإسرائيلية، ولكن السبب الآخر — وهو ذو خطورة — هو أنه منذ سنتين تقريبا لم نعد نسمع أي شيء عن القضية الفلسطينية، كل اهتماماتنا وطاقاتنا منصبة على الخصومات العربية العربية والحرب العراقية الإيرانية، قلت لنفسي كيف بلغت بنا — ونحن كل العرب مسؤولون عن ذلك — قلة الوعي والمسؤولية إلى أن يخلق لنا البعض مشاكل جانبية تتمثل في خصومات العراق مع سوريا، والعراق مع ليبيا، وسوريا مع الأردن، وخصومات منظمة التحرير الفلسطينية مع سوريا وليبيا وحاليا مع الأردن، ثم ان العرب والمسلمين يموتون وبعض الدول العربية تساند الأيرانيين ناسية ميثاق الدفاع المشترك الذي يفرضه ميثاق الجامعة العربية، فهل والحالة هذه بلغت بنا الغباوة إلى أن تنطلي علينا الحيلة ونضيع فرصنا وأوقاتنا في معارك جانبية وننسى المشكل الأساسي، وقلت لنفسي ربما لو قمت من جديد بتحريك هذا المشكل الأساسي فإن العرب كيفما كان الحال سيجتمعون مرة أخرى من أجله، وربما سيذيبون في هذا الإجتماع المشاكل القائمة بين بعضهم والبعض ويوحدون من جديد قواهم للتصدي، لماذا ؟ لأن الأرض المحتلة لا تهمني بقدر ما يهمني الإنسان المحتل، أليس حراما علينا أن نظل نتساب ونتخاصم فيما بيننا وننسى الرجل العجوز في الأرض المحتلة والرجل الكهل الذي لم يكن عمره يتجاوز السنة أو السنتين، وهذه أربعون سنة منذ أن نزل عليه الكابوس، والأطفال الذين ازدادوا وفتحوا أعينهم على الإستعباد والقهر والغلبة، فالأرض لا تمسخ، فهي تبقى كما كانت لا تتغير، ولكن البشر يتغير.

فعندما نسترجع الأرض والبشر، فأي بشر سنسترجع ؟ فأي شكل عربي أو مسلم أو حتى مسيحي، لأن تلك الأرض أرض التساكن، لأنهم كلهم عرب، والعرب كانوا أولا وقبل كل شيء جنسا، فلما جاءت اليهودية اعتنقوها ولما جاءت النصرانية اعتنقوها، ولما جاء الإسلام، بعد ذلك اعتنقوه.

ولكن، بقي من العرب من هو يهودي أو نصراني، العربي ليس من اللازم أن يكون مسلما كيف سنسترجع الغرب هناك، على اختلاف دياناتهم عندما نسترجع الأرض، على أية حال سيكونون ؟ هذا هو الدافع أولا فرضته الظروف الداخلية لإسرائيل، وثانيا يا معشر العرب كفاكم تخذيراً وانشغالا عن مشكلكم الحقيقي، فأنتم لم تشغلوا



فقط عن مشاكلكم، وإنما هناك منكم من خان لأنه حارب أخاه العربي ضد عدو غير عربي، فلم ننشغل عن المشكل الأساسي فحسب بل وقعت الخيانة.

إذن ــ شعبي العزيز ــ أظن أنني غطيت الجانبين الأول والثاني من خطابي، وبقي الجانب الثالث، وهو أنك تنتظر معرفة ما إذا جرى بيني وبين الوزير الأول الإسرائيلي.

قبل كل شيء يجب علينا شعبي العزيز ــ وأنت تعرف هذا ولكن الآخرين لا يعرفونه ومن اللازم أن نؤكد لهم أن فاقد الشيء لا يعطيه، فأنا اجتمعت ببيريز، ولكن أنا حتى ولو عقدت معه اتفاقية لا يرد بمقتضاها غزة أو الجولان أو الضفة الغربية أو القدس فهذا لا يلزمه ولا يلزمني، ففاقد الشيء لا يعطيه، ثم انني أظن أنني لست في حاجة إلى إعطاء البرهان على عروبتي وعلى غيرتي على العرب.

ومن جهة أخرى معروف أنني لا أتباحث معه إلا في إطار مخطط فاس، يا ليت الذين حاكمونا وحكموا علينا انتظروا هذا الخطاب حتى يتخذوا موقفا، ولكن النزق والخفة والشهوات والأغراض كل هذا لعب دوره وحاكمنا من حاكمنا وحكم علينا من حكم علينا، وأقول لهم ما أنتم بالحكم الذي ترضى حكومته، فليحكموا كما أرادوا، وأنا شخصيا سقف بيتي حديد وركن بيتي حجر.

قلت للسيد شيمون بيريز : ما هو موقفك من منظمة التحرير الفلسطينية ؟

قال لي : أنا لا أعترف بها.

أجبته كيف ذلك ؟ وماذا ستعمل إذن ؟ ومع من ستتحاور إذا كنت ترغب في إنهاء المشكل الفلسطيني ؟

قال لي : أنا الذي سأسألك مع من سأتحاور، لأننا نجدهم في سوريا والأردن وتونس.

قلت له : هل لك ما تقوله لنا في موضوع الأراضي المحتلة، يجب عليك أن تجلوا عنها كلها، قال : لا، لن أجلو عنها.

قلت له : وداعاً فأنا لم ألتق بك من أجل التفاوض معك حول الأراضي المحتلة ومتى سترد هذا الجزء أو ذاك وفي أي وقت، أنا أريد أن أقول لك يجب عليك أن تنسحب من الأراضي المحتلة وهذه مقررات فاس، يجب أن تخاطب منظمة التحرير الفلسطينية لأنها ممر ضروري، وبما أنك لم تقبل لي هاتين الأسبقيتين فإننا لم نخسر شيئا، وأقول لك مع السلامة، فأنت ستطلع حكومتك، وأنا كمسؤول عربي عندما يحين الأوان وإذا أراد أشقائي ذلك سأبلغهم أجوبتك وبالعناصر التي تتضمنها، وما دمت لا تريد الإنسحاب من الأراضي المحتلة فذلك يعني أنه لا داعي للحديث عن القدس أو عن مسلسل السلام.

لم يبق لي إذن ما أقوله مادام يرفض منظمة التحرير كمخاطب وحيد وشرعي، ويرفض الإعلان عن الجلاء عن جميع الأراضي المحتلة، وقلت له : بما أن الأمر كذلك فمع السلامة، وليعد كل إلى حال سبيله، وسأرد الخبر على من يهمه الأمر في المقام الأول، أي دول المواجهة، وعلى جميع الأشقاء العرب، ليعلموا، بعد الجواب الذي تلقاه أخوهم هذا، ما يترتب على ذلك وما يجب اتخاذه من تدابير ومخططات.

قلت لك ــ شعبي العزيز ــ في مستهل خطابي : إن لقائي به لم يكن للتفاوض أو للحل والعقد بل للإستطلاع، وأعتقد شخصيا أنه من الجبن ألا يخاطب الإنسان عدوه وخصمه، فنحن تربينا على الشجاعة، يقولون

في الصحف إن عمل الحسن الثاني عمل شجاع الخ، معلوم، وإذا قيل فهو من باب السيف أمضى من العصى، أما عملي في حد ذاته فليس عملا شجاعا، فهو نتيجة التربية الوطنية التي تلقيناها جميعا والتي جبلنا عليها أساتذتنا في السياسة، سواء منهم سيدنا المغفور له محمد الخامس أو زعماء أحزابنا السياسية، أو التجربة القاسية التي مررنا منها، تعلمنا أنه في بعض الأحيان نخرج للمظاهرات في الشوارع وفي بعض الأحيان نجلس للمناقشة والتفاوض مع الخصم.

ولهذا ــ شعبي العزيز ــ خذ درسا من هذا، ليس من الجبن وليس من العار والخذلان أن يتوجه الإنسان من حين لآخر إلى خصمه وعدوه لمعرفة موقفه ونياته، فالجبن والخذلان والتقاعس والخيانة هي أن يلقي المرء السلاح، فأنا منذ أصبحت ملكا إلى يومنا هذا منذ خمس وعشرين سنة فتحت عيني على وضع اللاحرب واللاسلم، والآن ــ شعبي العزيز ــ سأحكي لك شيئا عندما كنا في مؤتمر 1965 بالدار البيضاء.

ويمكن أن تعود إلى هذا محضر الجلسات، وكان حاضرا في هذا المؤتمر عبد الناصر، وعارف، والملك سعود، رحمهم الله جميعا، والسلال من اليمن، وأظن الصادق المقدم عن تونس، إذا لم تخني الذاكرة، والمهم، أنني أظن أن من يؤكد لكم هذا أكثر هو أمين الحافظ الذي كان رئيسا للجمهورية السورية، وهو بعثي كذلك وهو الآن لاجيء في لبنان، وكان كذلك الحسن الرضا الذي مازال على قيد الحياة، والذي كان ينوب عن الملك ادريس رحمه الله، وكان من الجزائر على ما أعتقد بوتفليقة أو الرئيس بومدين، وأظنه الرئيس بومدين، لأن ذلك وقع بعد أحداث 19 يونيه 1965، لا أتذكر بالضبط، المهم في سياق الحديث طلب مني أن أدلي برأيي، وقد أحدث هذا الرأي ضجة لا تتصور، لأنني قلت لهم أمامكم اختياران، إما أن تحاربوا إسرائيل ولو بالعصى لأن عددكم ثمانون مليون نسمة، وعددهم ليس سوى مليونين ونصف آنذاك، ولم تكن وقتئذ قد وقعت الحرب التي احتلوا فيها سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان والقدس، قالوا لا نستطيع، قلت لهم : اسلكوا طريقا آخر فاعترفوا بهم، وأدخلوهم الجامعة العربية وذوبوهم وسط ثمانين مليون نسمة، فوقعت علي ضجة، فماذا كان يمنعنا من الإعتراف بهم آنذاك والحالة أنه لم يكن لديهم سوى قطعة من الأرض، فقد كانوا سيستقبلون آنذاك ذلك بكل سرور، لكن هذا لم يحدث ولم يكن هناك سوى كلام وخطابات الشقيري لنرم بهم إلى البحر حتى طردونا من أرضنا وتركونا تائهين، وما زلت بعد هذا كله أجد من يتطاول علينا وينعتنا بما نعتنا به.

وكما قلت لك ــ شعبي العزيز ــ هذا من باب التفاهة والخفة واللامسؤولية، فنحن كيفما كان الحال، نعتزم إرسال رسالة لجميع ملوك ورؤساء الدول العربية نفسر لهم فيها بواعث ودوافع لقائنا بشيمون بيريز وسنطلعهم فيها على العناصر التي أتى بها إلينا والرد السلبي على النقطتين الأساسيتين في مخطط فاس وهما الجلاء عن الأراضي المحتلة والإعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية.

وهنا أريد قبل ختام هذه الكلمة أن أؤكد مرة أخرى، أحب من أحب وكره من كره، أن المغرب بلد ذو سيادة لا أقول عليه أن يمارسها كاملة وبكل حرية حتى لا يلمس فيه الآخرون الضعف، والحد الوحيد لهذه الحرية في التصرف هو التزاماته، فكلما التزمت دولة التزاما كان التزامها تنازلا عن جزء من سيادتها، ولكن داخل هذا الإلتزام، أني لا أريد أن يفرض علي أحد مع من ألتقي ومع من لا ألتقي، فحتى والدي الذي كان يسهر على تربيتي بحرص شديد لما تجاوزت سنا معينة ترك لي حرية معاشرة من أريد، ولا أرضى للمغرب أن يقال له التق بهذا ولا تلتق بذاك، فأنا التزمت التزاما داخل الجامعة وليس هناك أي قرار يمنعني من أن أتصل بمن أردت، وهذا شيء مهم جدا ينبغي معرفته واحترامه.



ومن جهة أخرى قد يقولون ان فلاناً عمل ما عمل السادات، أقول انه لا مجال هنا للمقارنة، إذ لا قياس مع وجود الفارق، فالسادات رحمه الله كانت أرضه محتلة وحررها، فهل أخطأ أو أصاب ؟ إنه وقع اتفاقية واستعاد جزءا من الأرض وأنا أحمد الله ليس لدي أرض أحررها ولو كانت لدي لما انتظرت حتى اليوم لأحررها، لقد وقعت النكسة في 67 ومضى عليها عشرون سنة تقريبا فمن هذا الأبي الذي سيترك أرضه محتلة لمدة عشرين سنة وهذا شيء لا يوجد إلا في الشرق وأقول هذا لأهل الشرق إنكم خاملون والمغاربة شجعان، فلا أحد منهم يترك أرضه محتلة لمدة عشرين عاما، وإذا كنتم تريدون تعلم الوطنية والرجولة فعليكم أن تطلبوها عندنا، أما أن يعطينا الشرقيون دروسا في الوطنية، فلا أسمح بذلك.

وما يهمني شعبي العزيز هو انتقادك لعملي أو رضاك عنه، أما أنا فضميري مرتاح، وإذا ارتاح ضميرك فضميري يكون أكثر ارتياحيا، وكل هذا ما قصدت به إلا شيئين : يقول النبي صلى الله عليه وسلم «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد» فأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعطيني أجرين، وحتى إذا لم يكن لي ذلك فأجر واحد من الله يكفيني وأنا قانع به.

وسأختم كلمتي هاته بقوله سبحانه وتعالى : «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون»، صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ألقي بيفرد

الثلاثاء 15 ذي القعدة 1406 — 22 يوليوز 1986